**مقدمه في العصور الوسطى**

**النظام الاقطاعي وسقوطه**

**يقسم المؤرخون تاريخ اوروبا الى ثلاثة مراحل : الاولى هي التاريخ االقديم الذي تمتله الامبراطورية الرومانية. والثانية هي التاريخ الوسيط والذي يسمى غالبا بالعصور الوسطى ويتميز بسيطره الاقطاع والكنيسة. أما المرحلة الثالثة فهي التارخ الحديث الدي يعقبه التاريخ إلمعاصر. ولم يتفق المؤرخون لحد الان على فروق بين الاثنين مثلما في التارخ القديم والوسيط ومن الأفضل أن يسمى بالتاريخ الحديث والمعاصر لعدم وضو ح ميزة كل منهما. لان التارخ المعاصر هو امتداد للتاريخ الحديث بكل صفاته الاقتصادية والاجتماعية والسياسيه ظهر النظام الاقطاعي في اوووبا نتيجة عوامل متعددة يأتي في مقدمتها انهيار الامبواطورية الرومانية منة 475 م ق تدفق القبائل الجرمانية وغيرها لتشيع الفوضى والتدهور وفسرع الامن في اوروبا الغربيه ورغم قيام الامبراطورية الكارولنجية المعروفة بامبراطوريه شارلمان الا ان ذلك لم يمنع من استمرار عدم الاستقرار بسبب الاسس التي قامت عليها تلك الامبواطورمة والنزاع والحروب التي قامت بين ورثهعرش. الامبراطورية فالامس كانت تحمل في طياتها مقومات التنظيم القبلى الذي يقوم على اساس احترام سلطة ،رئيس القبيلة مما يؤدي الى رفض السلطة المركزية التي تحد من السلطات المطلقة لرئيس القبيلة. بمعنى أن مفهووم الدوله يصطدم بمفهوم ألسيادة القبلية. فكان لهذا العامل اثره واهميته في نشوء النظام الاقطاعي الاقطاعي خصوصا وان التنظيم القبلي الجرمافى´كان يجيز.استخدام العبيد. يضاف الى هذا ان الملوك الجرمان لم يتمكنوا من السيطرة على المساحات الواسعة التي حكموها.**

**وبانهيار امبراطورية شارلمان تصاعدت الحروب الداخلي يرافقها غزو قبائل الفايكنك (النورمانديون) من الشمال فانتشرت الفوضى والاضطرابات وانعدم الامن مما وفر ظروفا جيدة لسيادة النظام الاقطاعي. ذلك ان العوامل المذكوره اعلاه قد لعبت بمجملها وعلى مر السنين دورا اساسيا في بلورة النظام الاقطاعي واستقراره‌ في القزنين التاسع والعاشر الميلادي.**

**ان هذه الفوضى الشاملة التي تعر ضت لها اوروبا إلغربية قد دفعت الناس الى طلب الحماية والامن ولم يكن امآمهم غير الاقوياء من الامراء والمتنفذين الذين اصبحوا ضعافا الا انهم اقوى عن هم ادنى منهم . ولما كان هؤلاء بجاجة الى اتباع مسلحين يساعدونهم في التغلب على ما يواجهونه من اخطار. فقد انضوى تحت الويتهم العديد من الاسر التي لا تملك الأض، فكان الامير أو المالك منح الاسره او الفرد اقطاعا من اراضيه ليعملوا فيه وليكن نوا جنودا له. امإ صغار ملاك الاراضي فقد دفعتمم الفوضى الشاملة الى الدخول في حامية من هم اقوى منهم مقابل تنارلهم لهم عن إراضيمم، ثم يعود ذلك المالك المتنازل عن ارضه فيستلمها من حاميه على شكل اقطاع.**

**لقد كان ظهور الاقطاع خطوة الى أمام انقذت اروروبا من الفوضى التي ااجتاحتها وامنت للفرد الحماية والطمانينة، فهو الوسيلة التي ارادت بها اوروبا ايجاد نوع من الحكم يفي باحتياجات الف د. لذلك كان الاقطاع عبارة عن عقد اجتماعي مقبول يحدد واجبات وحقوق الاقطاعي وتابعه بشكل متبادل وملزم للطرفين يقوم السيد الاقطاعي( بموجبه بتقديم الحماية والاض التي يقتات منها التابع ويخدم فيما لصالح السيد. وعلى التابع ايضا ان يحترم السيد وأن يؤدي الخدمة العسكرية في حالات الحرب وأن يفدي سيده اذا وقع في الاسر، ويدفع له الضراثب مثل ضريبة الرأمى السنوية وفريبة الصيد أو الرعي وان يحسم قضاياه امام محكمة السيد لم يكن عقد الاقطاع مكتوبا الا في حالة اسثنائية وعموها يجري العقد وفق مراسيم خاصة تسمى بحفل الولإءم أوالقسم. ففي الولإء يجثم طالب التبعية على ركبتيه ويضع يديه مضمومتين في يدي السيد اشارة الى انه يفوض اموره اليه ويقدم**

**له الولإء ثم يشير السيد على طالب التبعية بالوقوف ويقبله. عندئذ يردد طالب التبعية القسم بالانجيل وهو :**

**((سيدي انني ادخل في تبعيتك وعهدك وقد اصبحت منذ الان رجلك بالقول والاشارة وانني اقسم وأعد أن احافظ على العهد والولاء لك امام الاخرين وان ابذل كل ما في**

**وسعي من قوة للذو<د عن حقوقك )) ويسلم اليد لطالب التبعية عادة عصا أو سيفا رمزيا يسترجع منه في نهاية حفل التوليه**

**ادى توسيع الاراضي. والاقطاعيات التابعة للمالك أو السيد إل صعوبة ادارتها والسيطرة عليها، لذا اضطر االأقطاعيون الى تسليم اجزاء من ممتلكاتهم الى وكلاء لهم جعل اوروبا الغربية ٠ عبارة عن اقطاعيات صيغيرة تتمتع ا´كل منها بالاكتفاء الذاتيق تلتزم بالتقاليد والاعراف التي اقرتها ضروف نشاة الاقطا ع. واصبح المجتمع الاقطاعي مقسما الى ثلاث .طبقات ؟بارزة هي :**

**1-طبقه الاسياد : وهم الاقطاعيون الذين بمتلكون الاض وما عليها من مستلزمات: ،النتاج مثل الطاحونه والفرن والمعصره كما كانوا يتمتعون بحصانه قضائيه وعسكريه وقد تطور افراد طبقه الاسياد ليصبحوا نبلاء. ويدخل رجال الدين الكبار ضمن طبقة الاقطاعيين لامتلاكهم الأراضى رغم أنهم يتميز ون عن النبلاء في مهمتمم واهتماماتهم : وفي بعض الاحيان يتحول النبيل الى رجل دين.**

**2- طبقة الفرسان : لا يفرق بعض المؤرخين بين هذه إلطبقة وطبقة الاسياد بل انهم يعتبرون النبلاء ورجال الدين والفر سان طبقة واحدة تقابلها طبقة الفلاحين الاقنان. ويعود ذلك الى ان الفارس هو النبيل أو بالاصح ابن النبيل الذي يوخذ للتدريب العسكر ي منذ سن الحادية عشر ويستمر في تدربه حجتى السادسة عشر يمنحح بعدها في حفل خاص لقب )فارس( وهذه الطبقة هي بمثا بة الضباط :القياديين في العصور الحديثة.**

**3 \_ الطقة العامة : ق شكل غالبية. المجتمع التي يؤلف الاقنان غالبية افرادها. والمتبقي منها الفلاحون الذين يتمتعون ببعض الحرية مثل حرية اختيار السيد وحتى الزواج وقلة الاعمال الشاقة. اما الاقنان فهم الذين ارتبطوا بالارض فاصبحوا بتطور الاقطاع ملكا للاقطاعى مثل الأض والماشية ومستلزمات الزراعة ففقدوا حريتهم كلية بحيث لا يمكن للقن أن يغادر مزرعه السيد الى مزرعة اخرى،**

**عندما تنتقل ملكية .الارض ال سيد آخر فانه ينتقل معها واذا ما أراد القن أن \_يرسل ابنه الى المدرسة عليه ان يدفع عنه تعويضا لسيده، واذا تزوج القن وكان**

**الزواج يستلزم انتقاله الى الاقطاعية التي توجد فيما الزوجة فعليه ان يدفع تعويضا ايضا ومثل هذا ينطبق على الفتاة التي تلتحق بزوجها في ضيعة اخر ى. ووصلتالتبعية المطلقة الى حد حق السيد في قضاء الليلة الاولى مع عروس.رقيقه**

**لقد كانت الكنيسة ركيزة أساسية للاقطاع، فقد التقت مصالح رجآل الدين مع الملاك الاقطاعيين حين حولت الكنيسة المفاهيم الدينية السمحاء الى غطاء يمنع تمرد الاقنان على واقعهم المهين من خلال التأكيد على الحياة الاخرة م الحياة الدنيا مما يعزز القناعات عند الطبقة العامة ان حياتها في ظل الاقطاع**

**امر لا اهمية له مهما بلغت من ´السوء ٠ ما دامت الرزوح هي الاساس في حكم الاخره مقابل هذا الشيء تمتع رجال الدين، وخصوصا الكبار منهم بامتيازات واسعة وتحولوا الى اقطاعيين يعيشون حياة مترفة وماجنه لا تنسجم مع مواقعهم الدينية ولا تتفق مع تعاليمهم الدينيه.ا ولقد بدأ تحول رجال الدين الى اقطاعيين عندما اعطي الحق.للسيد أو النبيل تعيين اسقف أو كبير. الاساقفة في اقطاعيته، فكان النبيل يمنحه اقطاعا من عنده> فتكاثرت الاقطاعات الكنسية حتى اصبحت الكنيسة اكبر ملاك الاض اضافة ال انها كانت تتلقى الهدايا والنفائسو زنصيب من الايرادات الاقطاعية بمختلف اشثكالها ، بما فيها الاراضي والاقنان، من . الملاك والسادة والنبلاء تكفيرا عن ذنوبهم وخطاياهم ولكسب مساندة الكنيسة**

**´ لهم. ثم تعددت مسؤوليات الكنيسة لتصبح مركزا للتجارة والبيع وكذلك المتاجرة بالممتلكات بما فيما المناصب الدينية . وهكذا ارتبطت الكنيسه مصيرها بالنظام الاقطاعي وتطورت سلطاتها لتشمل الامور الدينية والدنيوية ولاشك ان تبنيما مقاومة المسلمين ا في اسبانيا واثارة الحروب الصليبية قد جعلها اقوى سلطة من قبل.**

**´ وبقد ر ما كانت الكنسية ركنا اساسيا للاقطاع فانها اصبحت عاملا مهما في سقوطه لعوامل عدة منها ان الكنيسة تحولت الى مؤسسة فوقية بعيدة جدا عن المباديءالدينيه. وفي القرنين الثاني عشر والثالث عشر اصبح البابا يجمع بين صفته الدينية كرئيس للكنيسة وصفه دنيوية مكنه النظام الاقطاعي من اكتسابها فاصبح حاكا دنيويا له بلاط يمتاز بالترف والانحراف. الا أن هيبة البابا .بدأت تتدهور منذ القرن الرابع عشر، وهو القرن الذي شهد بدايات ضعف نظام الاقطاع مع تنامي الاسس التي قامت عليما النهضة الاوربية في القر نين اللاحقين،**

**ففي الفتره مابين 1305-1377 فضل البابا الجديد كلمنت الخامس ٠ البقاء في موطنه بفرنسا بدلا من الانتقال الى روما مما افقد البابوية الشيء. ٠الكثيرمن زعامتها وسعتما. وقد اطلق على هذه الفتر ة التي استمرت حوالي اثنين وسبعين سنة اسم )الاسر البابوي(. ومما زاد في انهيار هيبة المركز البابوي ما حدث سنه378 1 عندما وقع )الانقسام البابوي العظيم ( حين انقسم الكرادلة فاختاروا اثنين من البابوات، فسر ت عوامل التفكك والضعف في الكنيسة وعالمها المسيحي. ولقد تر تب على الاسر والانقسام البابوي ان اصبحت سلطة البابا موضع نقاش وجدال كان´ الترف وجمع المال وتحقيق المصالح الخاصة احد اركانه الاساسية مما دفع الكثير من المفكر ين والمصلحين الى المطالبة بالاصلاح الذي شكل احدى الظواهر الاساسية للعصور الحديثة فيما بعد .**

**من جانب أخر فإن الكنيسة قد وزعت ركنا آخر في عملية ضعفها التي ترتب عليما ضعف النظام الاقطاعي وانهياره، وهي شنها الحروب الصليبية على العرب المسلمين حيث انهكت هذه الحروب النبلاء.ورجال الدين واستنزفت الكثير من قواهم مما جعلهم ضعفاء امام القوى التي ظهرت فيما بعد تدعو الى نهضة اوروبا وانبعاثها. ولا شك ان احتكاك الاووبيين بالعر ب المسلمين من خلال خلال الحروب قد ساعد على نقل الكثير من مظاهر الثقافة والعلم فبدأ عصر الترجمة في اوروبا حين ترجمت علوم اليونان من العربيه وبدأت شريحة معينة من المجتمع، ممن عرفوا فيما بعد بالطبقة الوسطى تتجه الى تحدي مبدأ الكنيسة بالتسليم لكل شيء تقوله واتجهوا الى نقد ما كان شأئثعا حتى في الدين نفسه، فظهر )الهراطقة( الذين**

**٠ تعرضوا لمساوى الكنيسة بالنقد والتقريع. كا انتشرت في اواخر العصور الوسطى الجامعات ء ورغم ان الكنيسة كانت تحتكر الدراسة والتدريس فيما الا ان ذلك ساعد على نشر العلم تعميق الثقافة بعد ان بدأت الجامعات تنتشر في كل مكان.**

**ومن العوامل الاساسية الاخرى التي اسقطت النظام الاقطاعي هو االتحول الذي شهدته الفتره الخيره من العصور الوسطى، فقد بدأت الثورة ونمت المدم وتطورت فأدى ذلك ال ظهور طبقة جديدة لا تستمد اسباب حياتها الارض الزراعي‌ «لإ ثحتاج الخضوع ال نفوذ ق تسلط الاقطاعيين مثل ابائهم.**

**الاقنان وبذلك لم تعد الارض مصدر الانتاج واساس الثورة خصوصا بعد اكتشاف العالم الجديد وتدفق الذهب. وبتنامي هذه الطبقة التي سميت الطبقة الوسطى( وزيادة قوة واتساع حجمها تعارضت مصالحها بمصالح الاقطاع الذي كان يقبيم الحواجز والحدود بين الاقطاعيات مما يعرقل نمو التجارة تطولرها فكآن لابد من الاصطدام. وقد وجدت الطبقة الوسطى في ملوك اورباء الذي كانوا تواقين لاعادة سلطتمم السياسية خير حليف في الكفاح ضد الاقطاع للقضاء عليه ء فأعدت الانظمة الملكية بالمساعدات المادية لاعداد الجيوش مما ساعد في تحقيق اهداف هذا التحالف اكتشاف البارود الذي استخدمته الجيوش الملكية في ذك قلاع ومعاقل الاقطاعيين.**

**وهكذا تظافرت العوامل التي اسقطت الاقطاع بعد انذ أنتفت الحاجة اليه واصبح على مر الزمن نظاما قاسيا مضطهدا للانسان. الا ان سقووط الاقطا ع لم يات حاد ومفاجىء وانا كان تدريجيا، ومن الامثلة على ذلك ان الكثير من الاقنان بل أوا يتسربون للعمل في التجارة فنقلوا لاقرانهم صورة جديدة من حياة الحرية ء لهذا بدأ الاقنان يعلنون العصيان على سادتهم وشكلوا الجمعيات الريفية،، واضطر الاقطاعي ان يستبدل الانسان بالحيوان في جر المحراث أو ادارة دواليب الماء في الساقية فكان ذلك احدى اشارات ضعف سلطة الاقطاعي. لقد**

**مهدت تللث التطورات الطريق للطبقة الوسطى والملكيات القومية الى توجيه الضربة الاخيرة للنظام الاقطاعي بزكنيه )النبيل ورجل الدين( فاارت حروب مع الكنيسة أيضا انتمت بزوال ذلك النظام.**

**واخيرا ولكي تكون الصورة واضجة لابد من ا.لاشارة الى أن بداية عصر النهضة الاوروبية متداخل مع الفتر ة الاخيره من النظام الاقطاعي اذ لا يمكن الفصل بينهما ولهذا فإن معظم العوامل التي اثرنا اليما كسبب لسقوط الاقطاع سنراها فيما بعد مظهرا من مظاهر النهضة الاوروبية وعصورها الحديثة.**